مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 08 / العـدد: 02 مكرر (الجزء الأول) / جويلية 2019 / ص ص 159 - 170
عدد خاص بالملتقى الوطني الأول: مشروع أسلمة المعرفة، مبرراته وإشكاليات تطبيقه

من أسلمة العلوم إلى العلوم وفق الفطرة

From the Islamization of sciences to sciences according to nature

أ.د. عبد الحليم بوهلال[1]
[1] جامعة الجلفة (الجزائر) ، bouhlalhalim@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/06/12 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:
لقد واج مشروع أسلمة العلوم عدة اعتراضات معرفية ومنهجية ، وجدنا من الضروري ومن خلال هذا المقال:" من أسلمة العلوم إلى العلوم وفق الفطرة" تحليلها ثم العمل على تجاوزها . وكنتيجة لهذه الدراسة النقدية ، اقتنا هذا البديل: العلوم وفق الفطرة. والذي عملنا على البرهنة عليه.
كلمات مفتاحية: العلم، الأسلمة، الفطرة.

Abstract:
The Islamization of Science Project has faced several cognitive and methodological objections. We found it necessary and through this article: <<From the Islamization of sciences to sciences according to nature >> Analyze them and then work to override them. As a result of this critical study, we proposed this alternative: science according to the nature. Which we have worked to prove.
Keywords: Science, Islamization, Nature.

المؤلف المرسل: عبد الحليم بوهلال، **الإيميل:** bouhlalhalim@yahoo.fr

1- مقدمة :

1-2- الإحاطة بالإشكال:

لا شك أن العلم وسيلة الانسان من أجل الكشف عن الحق فيﷺ وفي الكون، مارسﷺ وعبر تاريخﷺ الطويل . ففهم بﷺ لما تجلى ﷺقا فنجح فيﷺ فأبدع. وضل بﷺ لما قام باطلا فأخفق. أن تفهم الذات فتتوافق معها عليك أن تتعلم. وأن تفهم الآخر فتتوافق معﷺ عليك أن تتعلم . وأن تفهم الآفاق فتتوافق معها عليك أن تتعلم. ولن تحقق ذلك إلا إذا وإذا فقط ﷺزت على العلم .

من أجل الإنسان الخليفة علم الله عز وجل أدم عليﷺ السلام الأسماء كلها فتحرك، بل وسجدت لﷺ الملائكة. وعلى البسيطة شيد المرء البناء من خلال ﷺضارات متعددة و متعاقبة، تشترك في توظيف الفكر من أجل العمل على تحقيق مطالب الإنسان وتعمير المكان من خلال إنتاج العلم . وتختلف في النظر الذي يؤطر هذا الإنتاج مبدأً ومنهجا وغاية ، فتفاوتت في درجة الحضور. وفي البعد أو القرب من الحق.

وفي هذا العصر تكلم العلم بفكر يؤطره نظر غربي بحكم الحال لا بحكم الاختيار نتيجة سيطرة كاملة على منابع المال، وعلى توجيﷺ الرأي العام، بفضل التحكم في مؤسسات السياسة والاقتصاد والصناعة والتربية. فأُسس لإنسان، وفقا لما يعتقد ويتصور، فأخرجﷺ ماديا وضعيا. فكان أن ظهر من بيننا من يدعو إلى أسلمة العلوم كموقف يمكن أن يحرر العلم من تلك القبضة الغربية. فأثار هذا النداء لتأسيس هذا التخصص، جدلا عميقا ﷺول مدى مشروعية هذه الدعوة، خاصة وأن الأسلمة لا تكون إلا مع الذات البشرية.

1-3 طرح الإشكال:

إذا كان طرح مسألة أسلمة العلوم كمجال معرفي من أجل تجاوز النظرة الغربية للعلم قد اصطدم بعوائق معرفية، جعلت الكثير من البا ﷺثين يشككون في مثل هكذا طرح. فهل يمكن أن نحوز في البحث في العلوم التي تكون وفق الفطرة كبديل للفكر الغربي الذي يؤطر العلوم الآن ، على ما يضمن الصمود أمام النقد الابستمولوجي؟

2- مﷺتوى المقال (مﷺاولة حل الإشكال):

2-1/ مسلمات المداخلة:

من أجل البرهنة على الحل الذي سنعلن عنﷺ لاﷺقا كإجابة على الإشكال المطروح أعلاه، كان لابد من وضع مبادئ نستند إليها في هذا الاستدلال ، لذلك انطلقت هذه المداخلة من تقرير هذه المسلمات:

2-1-1/ يولد الإنسان وفطرة كاملة لا تتبدل ولا تتغير، يقول الله عز وجل: << فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله >>1 ، فالاستعدادات النفسية من حب البقاء والظهور والتملك وغيرها من جهة. والقدرة على الكلام والتفكير والاستدلال من جهة أخرى موجودة لدية بالقوة. وتبقى مهمة التفكير المؤطر للعلم، إخراج هذا الموجود بالقوة إلى الوجود بالفعل سالما ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان موافقا للفطرة. فالعلوم وضعت من أجل الإنسان ولم يوضع من أجلها. فكل تفكير في العلم من حيث مبادئه أو منهجه أو نظرياته لا يضع في اعتباره أن يُبنى على أساس التكيف مع الطبيعة البشرية. حكم بذلك على العلم بالفساد، وعليه سيخرج المرء مشوها.

2-1-2/ إن الخير أصيل في الإنسان، وأن كل ما يفعله من شر هو نتيجة غير شرعية، ترتبت عن عدم تكيف الفكر المؤطر للعلم مع الفطرة. فحب الظهور مثلا في جوهره، علامة كمال لا نقص، لكن إذا كانت خلفية علوم التربية وعلم النفس تكبت هذا المطلب الغريزي. فإنها ستخرج لنا هذه الرغبة في شكل فعل شر. ونحصل في الأخير على شخص مريض.

2-1-3/ كما أن العلم لابد أن يكون موافقا في تفكيره لفطرة البشر، لابد أيضا أن يكون منسجما مع سنن الآفاق ومتماشيا مع ما فُطرت عليه الأشياء.

2-1-4/ لابد من التمييز بين الثابت والمتغير في الإنسان والكون والفكر. إذا لا يمكن إقامة البناء المحكم على أساس متغير، بل لابد ودائما من قياس المتغير على أمر ثابت. وهذا ما نجده حتى في الفيزياء، فنيوتن أقام الفيزياء الكلاسيكية على ثابت الجاذبية(ج). وأسند أينشتاين فيزياء النسبية إلى ثابت سرعة الضوء (سر). و أسس ماكس بلانك فيزياءه الكمية على ثابته المسمى بـ (هـ). لذلك كان لابد من الوقوف على الثابت في الإنسان (الروح) . وعلى الثابت في المادة (الماهية). وعلى الثابت في الفكر (المعنى).

2-2/ حل الإشكال المؤقت (فرضية):

بما أن طرح مسألة ما يسمى بأسلمة العلوم تثير اعتراضات معرفية حولها ، فإنه يمكن تجاوز النظرة الغربية التي يتحرك وفقها العلم الآن ، من خلال نظر يُمكن العلم من حيث المبدأ والمنهج من دراسة الإنسان وفق فطرته . ومن تناول الكون بالبحث وفق طبائعه وما فُطر عليه. وسبيل ذلك التحرر من هيمنة أصنام ثلاثة: اللفظ والمادة والجسد من جهة. وتبني منهج الصراع في البحث من جهة أخرى. فنصل حينها إلى تحقيق الحق في الإنسان والآفاق.

2-3/ البرهان:

2-3-1/ نشأة مشروع أسلمة العلوم:

يعتبر الدكتور جعفر شيخ إدريس من الأوائل الذين ساهموا في الدعوة إلى ضرورة إنشاء مجال معرفي موسوم بأسلمة العلوم أو أسلمة المعرفة. كما عمل إسماعيل الفاروقي على الدعوة إلى التعامل مع المعرفة الإنسانية من خلال منظور إسلامي ، مما استوجب في نظره إعادة صياغة تلك المعرفة وفقا لوجهة النظر الإسلامية2. وفي نفس الاتجاه ذهب عماد الدين خليل إلى ضرورة أن يُظل التصور الإسلامي كل البحوث المعرفية. إذ كانت الحاجة ماسة في نظرهم إلى تشييد علم سياسة إسلامي وعلم اجتماع إسلامي وعلم اقتصاد إسلامي. هذا ونجد أيضا صالح عبدالله ومن خلال كتاب " أسلمة العلوم الاجتماعية" دعا إلى أسلمة العلوم من خلال توظيف مفاهيم الإسلام ونظرياته أثناء التعامل مع العلوم3 . مما جعل البعض يفهم كما لو أننا أمسينا أمام أسلمة السياسة وعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرها من العلوم .

وما يلاحظ على هذه الدعوة إلى هذا المشروع، أنها جاءت كرد فعل، في ظل هيمنة فكرية غربية تحكمت في صياغة تصورات بشر هذا العالم فبرمجت ردود أفعالهم وفقا لرؤى ضبطتها مسبقا. فتجلى فيهم المنفعل التابع الذي فقد الفاعلية والقدرة على استعادة المبادرة الحضارية. فهي من تصمم وتسير وتوجه المذهب الفكري الذي ينتج التعليم الفني والتقني والبحث العلمي الكوني. مما جعلها تتحكم في تسيير المال و صناعة التكنولوجيا والاتصال والسلاح4، لتسود بذلك المدرسة والجامعة مفهوما ومنهجا، فلا يستطيع حتى المعارض لها إلا أن يفكر على مذهبها.

هذا و قد عمل أنصار مشروع أسلمة العلوم على تجسيد فكرتهم ونشرها، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات الدولية، وهنا يمكن أن نذكر منها:

- المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي بالسعودية سنة 1974.
- المؤتمر المتعلق بالتربية الإسلامية بالسعودية سنة 1977.
- ندوة حول الفكر الإسلامي بسويسرا 1977سنة.
- ندوة حول علم النفس والإسلام بالسعودية سنة 1978.
- ندوة حول إسلامية المعرفة بباكستان سنة 1983.
- ندوة حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بالسعودية سنة 1987.
- ندوة حول التوجيه الإسلامي للعلوم بمصر سنة 1993.

ومن أجل إنجاح هذا المشروع تم إنشاء المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن سنة 1981، الذي أخذ على عاتقه تأسيس مشروع أسلمة المعرفة، من خلال تبني البحوث والدراسات المرتبطة بهذا التوجه المعرفي الفتي.

2-3-2/ رفض مشروع أسلمة العلوم:

لم يكن ليجد هذا المشروع القبول المتوقع لدى المجتمع العلمي العربي والإسلامي، ليث واجه الكثير من البا ثين بالصد والرفض، هذا وقد تعددت أسباب هذا الموقف السلبي منه ، والتي يمكن أن نجملها في الآتي:

- رفض ما يسمى بالعلوم الاجتماعية كلية لدى البعض، لأن في القرآن الكريم من التصورات الكاملة والمتعلقة بالإنسان والكون ما يفي بالغرض في نظرهم ، معللين ذلك بقول الله عز وجل : << ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون >>5.
- اعتبار نتائج علم الاجتماع وعلم النفس عند بعض فلاسفة الغرب مثل كارل يسبرز مجرد ثرثرة. يقول كارل يسبرز: << إن نتائجهما الفعلية غارقة في ضباب ثرثرة الجماهير. وهذا ما يدخل الغموض على الفكر الإنساني، ويضعف قوة الحكم، ويحجب الوقائع. ويهدم لدى (الإنسان) الإمكانات الأساسية مثلما يفعل الفن >>6
- رفض البعض مصطلح أسلمة العلوم لأنه يحمل في طياته معاني دينية مما يبعده عن المجال المعرفي العلمي.
- اعتبار في مثل هكذا تخصص معرفي خطر كبير، على أساس أن فيه استعلاء على القرآن والسنة، حتى وإن عمل فريق من المشتغلين بأسلمة المعرفة على جعل العلوم الاجتماعية مسرحا لتطبيق القواعد الفقهية والمنهجية الأصولية7.
- هناك من رأى في القول بأسلمة العلوم بدعة، مما يجب علميا ودينيا محاربتها، لأن الدين كامل. ثم إن هذا الادعاء يتناقض مع نسبية العلوم8.
- هناك من أوقعته الدعوة إلى أسلمة العلوم في حيرة ، بل ورأى فيها ابتعاد عن الروح الإنسانية، مادام أنه لا يوجد هناك شيء اسمه قانون جاذبية إسلامي وآخر مسيحي أو يهودي9.
- الاختلاف حول مسمى الأسلمة وعلى مهام هذا الفرع المعرفي، على أساس أن إطلاق التأصيل الإسلامي للعلوم عليه أفضل عند البعض. في حين ذهب غيرهم إلى وضعه تحت عنوان التفسير الإسلامي للمعرفة ، بينما رأى فيه آخرون توجيها إسلاميا للمعرفة. وتصوره فريق مغاير على أنه مجالا للتوفيق بين التراث الإسلامي ونتائج العلم.

2-3-3/ عوائق مشروع أسلمة العلوم الابستمولوجية:

إن محاكمة مشروع أسلمة العلوم ابستمولوجيا بالتحليل والنقد أوقفنا عند مجموعة من العوائق المعرفية والمنهجية ، والتي تشكل تحديا أمام أنصار هذا المشروع ، يقف بينهم وبين تحقيق الأهداف المرجوة من فكرة أسلمة العلوم ، والتي يمكن بسطها على النحو الآتي:

- مصطلح أسلمة العلوم يثير مشكلات معرفية تتعلق بالتعريف خاصة، يعطي لرافضي مثل هكذا تصور كامل الحق، على أساس أن العلم وسيلة الإنسان من أجل المعرفة ،الذي يتميز بالكلية والشمولية من

يث المبدإ، مما يجعل اللبس يتسرب إلى دعوة هؤلاء إلى أسلمة المعرفة، بل هذا ما جعلهم يختلفون في ما بينهم ول تسمية ومهام هذا المجال البحثي، كما تطرقنا لـ أعلاه.

- التعامل مع العلوم من موقف المنفعل لا الفعال، يؤثر سلبا على الإسلام والعلم معا، فلا توجد اجة في ظل الإسلام ، ومع هيمنة الفكر الغربي على العلم، إلى ردود أفعال توحي بأن هناك علم إسلامي وآخر مسيحي أو يهودي. بل هناك علم وا د قد يؤطره أكثر من نمط فكري ، مما يجعل علم ما، قد يحقق الحق في موضوع بحث . أو يحقق الباطل في. والعلة في الأمرين تركيبة ذلك المؤطر من يت المبدإ والمفهوم والسبيل والغاية.
- تأسيس ما يسمى بأسلمة العلوم في الغالب على مفاهيم تم تسلمها من الغرب، ودون مناقشتها، لذلك لن ينجح إصلاح أو توجيه أو تأصيل يستمد مقوماته المفهومية من جهاز العلم المفاهيمي الذي أنتجه الغرب (مفاهيم مثل: الثقافة ، الدين، العلم، العقل، العاطفة، الإنسان...)
- تبني مشكلات وهمية عاشها الآخر، فغادر البا ث لدينا المكان (إشكالية العلاقة بين الدين والعلم، الدين والسياسة، العقل والعاطفة، العلم والفلسفة،...)
- تبني المناهج كما ضبطها الغرب، وتفسير الروح العلمية وفقا لما قرره النظر الغربي (الوضعية والموضوعية).
- عدم الاستفادة من العقلانية العربية الإسلامية وتوظيفها في مجابهة مشكلات العصر (منطق الأصول)

2-3-4/ نحو تجاوز عوائق فكرة أسلمة العلوم الابستمولوجية:

ومن أجل تجاوز تلك العوائق المعرفية والمنهجية نقترح الآتي:

- تجاوز مسألة مصطلح أسلمة العلوم أو المعرفة تماما، فلا تكون المعركة لفظية. والتعامل مع العلم من يث هو وسيلة من أجل تحقيق الحق.
- محاكمة العلم ذاته كوسيلة انطلاقا من ذات العلم، لا من ذات المفكر في العلم، وهذا يستوجب إ اطة تامة بالفرق بين المعنى الذي يتميز بالموضوعية وبين التصور الذي يتسم بالذاتية. فلا نخلط بينهما فنعجز ينها عن التمييز بين العلم والرأي. خاصة وأننا نمتلك على د قول فريجة كنزا مشتركا بين الناس وإن تعددت لغاتهم، يتمثل في ما يحمله الفكر

من معاني. هذه الأخيرة التي يجب أن تعامل في نظر فريجة كعنصر ينتمي إلى عالم ثالث ، مما ينفي عنها أن تكون شيئا ماديا أو تمثلا10.

- نقد مبادئ أي علم ومفاهيم وسبل ونتائج، وهذا يتطلب إ احاطة تامة باللغة الطبيعية التي كتب بها، أو على الأقل تكون ترجمة المتوفرة، قد حازت على صفة اليقين. كما يتطلب الأمر تمكنا من اللغة الشارحة (المنطق الصوري، منطق الأصول، المنطق الرياضي ثنائي القيمة، المنطق الرياضي متعدد القيم، الرياضيات)
- استرجاع زمام المبادرة العلمية من موقف (المنفعل – رد فعل). إلى موقف (الفعال – منتج) . ولا يكون ذلك إلا بقراءة من عقل خالص حر للعلم. فيتبين لنا في البدء: إذا ما فعلا قد حازت ما تسمى علوما اليوم على صفة العلم الموصل إلى الحق أم لا. وثانيا نقف على شروط إنتاج العلم فنسعى نحو تجسيده. وحينها نكون أمام الإنتاج العلمي والمعرفي بدلا من الغرق في محاولة إعادة صياغة المنتوج العلمي الغربي وفقا رؤية إسلامية كما جاء في دعوة الفاروقي.
- محاكمة العلم ابستمولوجيا، تتطلب مدخلا يتمثل في توفر نظرية في المعرفة تكون قد صمدت أمام النقد، فنسلك نتيجة ذلك الطريق المضمون نحو اليقين. فكل بحث في علم يفتقد لمثل هكذا مدخل، ستظله العشوائية والزلل.
- توظيف العقلانية العربية الإسلامية في مواجهة مختلف المشكلات المعاصرة، ولا يكون ذلك إلا بتجاوز العقلانية الغربية المؤطرة لفكرنا، سواء تعلق ذلك بالمفهوم أو بالمنهج. ففي قاعدة: إذا كنت ناقلا فالصحة وإذا كنت مدعيا فالدليل. ما يضمن لنا سيرا آمنا. علينا إذا، أن نفقه منطق الأصول جيدا وأن نفكر ونكتب باللغة العربية إذا ما أردنا تأسيسا للعلم من جديد.

2-3-5/ العلوم وفق الفطرة:

إن العلم اليوم في معركة مع اللا علم ، سلاحها الأساسي: المفاهيم. فالذي يهدد العلم في وجوده، هو انتصار (العقل – اللاشعور) ل (تصورات – الهوى) على حساب (تصورات - المعنى)، مما جعله يفكر تبعا لمنطق التبرير. إذ وبدلا من الاعتراف بالخطأ إن تجلى، تجده يبرره . مما دفع بالعقل إلى الانحراف عن السبيل الموصل إلى الحق فيه وفي الكون، ودون أن يشعر في الغالب . فأنتج ما يسمى بالنظرة التجريبية والسلوكية، مؤطرا بها مواضيعا عدة كالنفس والمجتمع، وكذلك المادة. قافزا على النظرة المعرفية، التي تمثل مدخلا لأي حركة نفسية أو اجتماعية أو مادية. لينتهي به المسار مشرعا لمفاهيم متعارضة مع معاني المخلوقات. وإنه لوضع بائس يهدد بقاء ومصير الكون والإنسان ينبغي مجابهته والبرهنة على بطلانه.

إن المعرفة هي من تقود وتفسر، وسواء فهم ذلك المُحرك أم لا، ومهما كان هذا المُحرك إنسانا أو كونا. لذا كان لابد لنا كبشر أن نحوز على المعرفة الحقة، فنمتلك ﷺينها (العقل – الشعور)، الذي يفكر وفقا لمنطق التفسير. فنفسر بﷺ ما نعرف، ونفسر كذلك بﷺ في ﷺالة الجهل لماذا لا نعرف . فكل معرفة لا تتوافق وما فُطر علىﷺ المخلوق تأذنُ بخراب التربية وكل العمران.

هذا معنا. أما مع باقي المخلوقات من كائنات تتغذى وتتنفس، وأخرى أطلق عليها اسم الجامدة، لا نستطيع أن نجزم بأنها تفهم قيمة المعرفة تلك أم لا. فما نمتلكﷺ من تصورات عنها تبقى ذاتية وغير موضوعية، وما مدتﷺ العلوم الآن عنها يفتقد للتفسير، إذ يبقى مجرد وصف متأثر بتصورات من بحث في هذا المجال، ودون أن يكون موافقا لطبيعة هذه المخلوقات.

إن الله عز وجل يخبرنا بأنها تسبح وتسجد، يقول تعالى :<< سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ >>11.

ويقول تعالى أيضا : << وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ >>12، وكذلك يقول تعالى: << أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَﷺ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ>>13 . لذلك كان لزاما علينا أن تأتي علومنا ﷺولها وفقا لما فُطرت علىﷺ.

إن البحث في المخلوقات يستوجب معرفة بطبائعها ، وفي سبيل ذلك نسلك كل طريق يمكن أن يؤدي إليها ، ونسترشد بكل نور يمكن أن يجلي ﷺقيقتها ، ولا شك أبدا أن العارف بها هو منير العقول ودليلهم. إنﷺ من خلق وصنع.. إنﷺ الله سبحانﷺ وتعالى. فبﷺ عرفنا ما عرفنا، وعلى تلك المعرفة نؤسس مدخلا ﷺقيقيا للعلوم. نفرق بﷺ بين الثابت فينا والمتغير ، وفي كل المخلوقات. فنميز بين الروح والجسد، وبين الماهية والشيء، وبين المعنى واللفظ. فلا يصبح الإنسان من الفقريات مثلا ، بل جسده. ولا تصبح المادة المعطاة تعبر عن ﷺقيقة الوجود ، بل من تحملها (الماهية). ولا يصبح التصور من يحمل ﷺقيقة الشيء مثلا، بل معناه. وعندئذ سنقف على ما هو متاح للعقل معرفتﷺ، وعلى ما يتجاوزه فنعلق الحكم بصدده.

هذا، ومن مستلزمات قيام علوم وفق الفطرة ضبط المفاهيم وتحطيم صنم اللفظ. وكذلك التفكير وفق منهج يلائم فطرة البشر و طبائع الآفاق.

أ- ضبط المفاهيم هدم صنم اللفظ:

إن اعتبار اللغة مجرد وسيلة تواصل من الأخطاء التي ينبغي تصحيحها ، لما يترتب عن ذلك من مشكلات معرفية خطيرة على مستوى المفاهيم ، ومن ثم على مستوى السلوك. لأن إهمال كونها ﷺامل للمعرفة يفتح المجال واسعا أمام الوقوع في الخطأ، بل وفي المغالطة. كما يحدث الآن أمام

تشريع ما يسمى بالتعريف الإجرائي، مما يعطي للذات ⍰لقوقا ليست لها، فنقع في الذاتية والهوى ونقضي على اليقين والحق. ونعلي ⍰ينها من المقولة القديمة القائلة بأن: الإنسان مقياس كل شيء. وهنا سنهدم العلم. فليس توفر الوضعية والموضوعية هو ما يضمن علمية بعض المعرفة ويمنحها تأشيرة الدخول إلى فئة العلوم ، ويمنع البعض الآخر من هذا الاندراج. بل إن المعرفة الموافقة لتلك التي تحملها من معاني من جهة، والمتطابقة مع طبيعة وفطرة ما تدرس⍰ من موضوع من جهة أخرى. هي من تؤهل المعارف لأن تحوز على صفة العلم.

علينا أن نفرق جيدا بين ما تحمل⍰ اللغة في ذاتها من معان عن مختلف الموضوعات، وعن ما نحمل⍰ من تصورات عن تلك الموضوعات، فالمعنى يتسم بالموضوعية، في ⍰ين تتميز تصوراتنا بالذاتية، و⍰تى نتجنب هذا التفاوت علينا أن لا تضلنا تصورات، تلك النابعة منا، المشوهة للمعاني، فنقع عندئذ في ما نسمي⍰ "عبادة صنم اللفظ". فنجعل من بعض الألفاظ أ⍰بة (الديمقراطية، العلم، التجربة، العولمة...). ومن البعض الآخر أعداءً (الإرهاب، التطرف، العولمة...). بل ونختلف ⍰ول قيمة اللفظ الوا⍰د. في ⍰ين أن الحق يوجب أن يكون التعامل مع معاني تلك الألفاظ، و⍰ينها سنكتشف أن منها ما لا يوجد أصلا ، إنما هو مجرد وهم كالديمقراطية وعلم النفس مثلا . ومنها ما لا يحمل في طبيعت⍰ لا ⍰قا ولا باطلا ، وما وسم ب⍰ هو مجرد إضافة بشر، فالإرهاب مثلا كلمة تدل على معنى موضوعي يحمل معرفة، لا تجد في ذاتها لا ⍰قا ولا باطلا.

وإنما يضاف ذلك إلى الفعال ، فالذي يرهب عدوا ظالما يكون على ⍰ق، يقول الله عز وجل: << وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِ⍰ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ>>14 والذي يرهب آمنا يكون على باطل . فالحل إذا يكمن في الاسترشاد بما تحمل⍰ اللغة من معرفة عن مختلف الموضوعات أثناء التعامل مع هذه الأخيرة. وبهكذا نكون قد تحررنا بفضل المعنى من سلطة هذا الصنم" اللفظ" .

هذا ويمكن أن نشير إلى التفاوت بين اللغات الطبيعية في درجة الحيازة على المثالية ، هذه الأخيرة التي تكون قد امتلكتها لغة بعينها فتمكن المتكلم بها من المعنى، فيسير على طريق العلم المضمون، لذلك كان لزاما علينا أن نبحث عن اللغة التي تتسم بالمثالية أو تقترب منها. وإن كنا نزعم بأن اللغة العربية تتفوق على غيرها من اللغات بتلك السمة، بما أنها و⍰سب ابن جني أكثر لغات العالم دلالة على المعنى15. ولا يمكن أن أطرح هذا التصور ولا أتوقف عند برهنة عثمان أمين على أطرو⍰ة مثالية اللغة العربية التي ضمها مؤلف⍰: فلسفة اللغة العربية. والذي نوصي ب⍰ كوثيقة درس نفهم من⍰ تلك المثالية. هذا الذي بسط في⍰ منهج هذه اللغة وإعرابها، وصفتي القوة والحركة فيها، وعلاقتها بالمثالية، وكذلك تكلم في⍰ عن مصيرها.

ثم ها هو الفيلسوف فرنسوا مارتي يجيب على سؤال يتعلق بخلو نظام اللغة العربية النحوي من الرابطة الوجودية، بما أن الرابط بين الموضوع والمحمول لا يظهر فيها. فقال: << هي بهذا المعنى سالمة من الخلط بين الوجود " être " والموجود، الخلط الذي بدأ به تدهور الفلسفة اليونانية>>16

على المشتغل بالعلم أن يفكر باللغة المثالية التي توفر شرط السير الآمن الموصل إلى التصور المطابق للمعنى ، فلا يكون التعريف إلا وفقا للمعنى الذي تحمله اللغة. ونعتقد في اللغة العربية ما يمنحنا هذا السبيل، لذلك وبدلا عن الحديث عن أسلمة العلم، لنفكر عربيا في العلم.

هذا ولابد من حيازة المفكر على اللغة الشارحة، فبما أنها صورية رمزية برهانية ستعيننا على تجاوز عوائق الجسد والطبيعة، فنرى بالعقل ما لم نره بالعين. وأقصد باللغة الشارحة المنطق الصوري والرياضي والمتعدد القيم والرياضيات وكذلك منطق الأصول .

ثم لابد من جرح وتعديل التصورات المستلمة والمسلم بها. فأما التعديل، يتحقق إذا ما وجدنا أن تلك المستلمة قد وافقت تعريف التصور في ذاته (المعنى)، وهنا لا مناص من العودة إلى التعريف اللغوي، واستبعاد تماما ما يسمى بالتعريف الإجرائي، فليس للإنسان الحق في التعريف وفقا لما يحمله من قناعات فكرية. بما أن العلم والهوى لا يلتقيان.

أما تجريحها فيتجلى عندما نكتشف أن تلك التصورات التي نحملها عن مختلف الموجودات متعارضة مع معانيها.

ب- منهج وفق الفطرة:

إننا نعتقد بأن البحث القائم على منهج الصراع هو من يوافق فطرة الإنسان وطبائع الأشياء. إنه المنهج الذي يستند في تركيته على الفصل الإستبعادي، ومنه فإن على العلوم أن تسلك هكذا سبيل .

إن منهج الصراع يستمد مشروعيته من كونه ينطلق من مسلمة مفادها أن هناك قيمتين متناقضتين لا يمكن الجمع بينهما، هما الحق والباطل . وإن على الفكر أن يصارع دائما من أجل بلوغ الحق وإسقاط الباطل . فالفصل الإستبعادي بين القضية ونفيها هو من يوجه تركية الفكر في التاريخ . وفي هذا نفي للمنهج الجدلي - كما تصوره هيجل ووظفه كارل ماركس وفقا لتاريخيته المادية- على أساس أنه لا يمكن أن نركب بين الأطروحة ونقيضها.

على أن نميز في البدء بين قيمتي الحق والباطل في الفكر عامة. وبين الخير والشر في الأخلاق . وبين الجميل والقبيح من جهة ، وبين الجميل والجليل من جهة أخرى. ثم نعمل جاهدين على تحقيق الحق والخير والجمال، ثم العمل على الارتقاء من أجل الشعور بالجليل.

إن طلب الحق وفعل الخير وتذوق الجمال والشعور بالجليل من مطالب الفطرة . فالحق ما وافق الفطرة وطبائع الأشياء. والباطل ما تناقض معهما. وهو □ال الخير والجمال ونقيضهما الشر والقبح. وهذا ما يستدعي من العلم أن يضع في اعتباره سواء عند تحديد المبادئ المنطلق منها أو عند وضع□ للغايات المرجو تحقيقها . أن يضع في اعتباره تلك الفطرة وغاياتها ، لأن كل علم يتعارض والفطرة يفسد الفكر والفعل والذوق.

3- خاتمة :

إن تحليل ونقد مشروع أسلمة العلوم، كما أوقفنا على سمو نوايا أصحاب□، إلا أن□ كشف عن عدم توفيقهم في اختيار منطلقات فكرتهم ، و□تى في انتقاء مناهجهم وكذلك في ضبط مرامهم. ومرد ذلك ببساطة هو تسلمهم لمفاهيم ومناهج العلوم المؤطرة بالنظر الغربي. لذلك نعتقد أن في الحديث عن علوم وفق الفطرة كما تم بسط□ أعلاه ما يحقق تلك النوايا، ولكن بمفاهيم مختلفة وبمنهج مغاير.

هوامش المقال:

1. الروم، الآية 30.
2. إسماعيل راجي الفاروقي، 1983، أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة عبدالوارث سعيد، الكويت ، دار البحوث العلمية، د ط ، ص33.
3. □نان بنت عبدالعزيز ، أسلمة العلوم الاجتماعية تأليف صالح بن عبدالله المالك.
4. http://www.al-jazirah.com/2013/20130517/cu5.htm
5. جعفر الشيخ إدريس، 1433 هـ ، صراع الحضارات: بين عولمة غربية وبعث إسلامي، الرياض، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط1 ،ص16.
6. الأنعام، الآية، 38.
7. كارل يسبرز، 1975، نهج الفلسفة، تر: عادل العوا، دمشق، دار الفكر، د ط ، ص96.
8. أ□مد إبراهيم خضر، وجهة نظر: □ول أسلمة المعرفة.https://www.alukah.net/culture/0/28204 /
9. منصور بن تركي المجلة، هل أسلمت العلوم بدعة تخالف منهج السلف؟، جريدة الرياض. http://www.alriyadh.com/286019
10. محمود عبابنة، زغلول النجار وأسلمة العلوم.http://alrai.com/article/10394470
11. دوني فرنان، 2006، مدخل إلى فلسفة المنطق، تر: محمود اليعقوبي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط. ص83.
12. الحشر، الآية1.
13. الإسراء، الآية 44.
14. الحج، الآية 18.
15. الأنفال، الآية 60.

16. عثمان أمين، 1965، فلسفة اللغة العربية، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة- توزيع مكتبة مصر، د ط.ص 43.

17. هيئة التحرير، 2005، لقاء مع فرنسوا مارتي، مجلة أيس، العدد 1، جوان ، الجزائر، ص75.